مقـــال

# عالم الصماوات

**تظل إحدى سمات الحضارة إعطاء فئات ذوي القدرات الخاصة كل مستحقاتها**

كانت معرفتي لهذا العالم من خلال صديقة تحمل الهم المجتمعي وأسميها صوت المرأة في بلدي وهي الدكتورة عائشة نتو، ومن خلالها تعرفت على شقيقتها الأستاذة فائزة نتو رئيسة نادي الصم للسيدات بجدة،والتي حملت هموم الصماوات بشكل مذهل، وكانت البداية من خلال محاضرة توعوية للصماوات عن سرطان الثدي في الغرفة التجارية الصناعية بجدة، وكانت الأستاذة فائزة تقوم بترجمة ما أقول إلى لغة الإشارة.

شعرت يومها بالخجل من نفسي وتقصيري كطبيبة وكناشطة في مجال التثقيف الطبي، كيف نسينا هذه الفئة؟ وكم هي مهمشة؟ وسألت نفسي ماذا فعلت لهن طوال أعوام عملي التي تزيد على ثلاثين عاماً؟، وشعرت أن هذا العالم بحاجة إلى الكثير وكانت البداية.

المحطة التالية كانت كتابة كتاب عن سرطان الثدي بلغة الإشارة لنشر ثقافة الفحص المبكر وتوعية هذه الفئة، وكان الكتاب وليد فكرة تم طرحها يوم كنت مدعوة لاحتفالية يقيمها نادي الصم، وبحضور صاحبة السمو الملكي الأميرة صيتة بنت عبدالله بن عبد العزيز آل سعود نائبة رئيس مجلس إدارة نادي الصم للنساء بجدة، والتي تحيط هذ الفئة برعاية غالية تمثل المسؤولية الاجتماعية والرعاية الملكية في أجمل صورها، يومها دار الحديث عن ندرة المعلومات المتاحة لهذه الفئة، فعرضت أن أكتب كتاباً لهن، فقالت سموها وأنا سأرعى هذا الكتاب.

مرت الشهور ووجدتني أفكر في الكتاب كمشروع متكامل، فطلبت من الأستاذة فائزة نتو أن تعطينا دورة عن لغة الإشارة في مركز الشيخ محمد حسين العمودي للتميز في رعاية سرطان الثدي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، حيث شعرت أن هذه اللغة أساسية لعملنا، فقمنا بعمل الدورة عندنا، وشاركت فيها وتعلمت لغة الأشارة ومعي ممرضة وإدارية، وشعرت أنني بهذا قد عملت على تكوين فريق عمل يستطيع أن يتعامل مع هؤلاء السيدات من لحظة وصولهن إلينا.. وبدأنا بعدها العمل على هذا الكتاب الذي أكرمتنا سموها بتقديمه وكتبت "حلمنا معاً وتحقق الحلم"... وهكذا تمت ولادة أول كتاب في المنطقة العربية عن سرطان الثدي وبلغة الإشارة، وشعرت بقليل من الراحة، فقد سددت جزءاً من الدين الذي عليّ تجاه هذه الفئة.

لكن فرحتي لم تدم وسمعت أن بعض الزملاء يعتقد أن وضع كتاب كهذا هو مضيعة للوقت والمال، فكانت الصدمة الأولى، يومها سألت الأستاذة فائزة نتو كم عدد الصم في بلدنا؟ فقالت ما يقارب 750 ألفاً، والكثيرون لا يرغبون في أن يعرف أحد أن لديهم في العائلة أصم أو فاقد للنطق، وتذكرت مثالاً جميلاً لطالما أكبرته، فهناك مثال نموذج هو السيدة سلطانة رضا التي حولت تجربتها إلى عمل إيجابي بعد أن مرت بهذه التجربة في عائلتها، فكان أن أنشأت معهداً متخصصاً لهذه الحالات، وبهذا اكتشفت أن كسر حاجز الصمت في بلدي ليس حكراً على سرطان الثدي كما كان يخيل إلي، بل إنه ثقافة مجتمع وشعرت بالألم لهن وعليهن.

وكانت الصدمة الثانية يوم رغبت في أن أضيف دعماً آخراً لهن بتعيين واحدة من الصماوات في المركز ممن وجدت فيها ذكاء وفطنة يفتقدها من يملك كل الحواس، وكانت الإجابة أن عليها أن تتقدم وتدخل المسابقة مثل غيرها من المتقدمات، كانت هذه هي الصدمة التي جعلتني أدرك حجم المشكلة التي تواجه هذا الفئة.. كيف تدخل في منافسة غير متكافئة من هذا النوع وكيف نكتب في كل وسائل الإعلام عن دعمنا لذوي القدرات الخاصة، وفي واقع الحياة نعجز عن تقديم خدماتنا لهن ونضع العراقيل في طريق من هن منتجات وقادرات على المشاركة في عملية التنمية.

لقد خيل لي أنني بكسر حاجز الصمت في قضية عالية الحساسية مثل سرطان الثدي، خيل لي أن هذا يساعد على تخطي الحواجز بمختلف أنواعها، لكنني وجدتني أكسر جداراً لأجد خلفه حاجزاً إسمنتياً أكبر وأعلى، يوم يرى البعض أن رعاية هذه الفئات هي مبالغة وهدر للوقت والمال، لكن ما أسعدني حقيقة ما تردد عبر بعض الصحف من الرغبة في إطلاق مبادرة لتعليم لغة الإشارة في المدارس، وهذا بداية التغيير يوم نتعلم نحن الحديث عنهم، وكيف نتحدث معهم ونصل إليهم، بل إن الأمن العام يدشن خدمة جديدة مخصصة لفئة الصم للتواصل معهم عبر استخدام الرسائل النصية.

لذلك عندما نقول إننا نود أن نصل إلى مصاف الدول المتحضرة تظل إحدى سمات الحضارة إعطاء هذه الفئات من ذوي القدرات الخاصة كل مستحقاتهم المادية والعاطفية والاجتماعية، بل كل حقوقهم الإنسانية ابتداء من رصف الشارع بما يمكنهم من دخول المباني عبر ممرات خاصة بهم، وانتهاء بحقوقهم الإنسانية بجميع أشكالها، هذه هي حقوق الإنسان والتي هي مطلب شرعي وعادل لكل إنسان.

**د. سامية العمودي**

أستاذ مشارك ورئيس كرسي العمودي لأبحاث سرطان الثدي بجامعة الملك عبدالعزيز